الثورة الاثنين 14 رجب 1433هـ 4 يونيو 2012م العدد (17366)

أطفال اليمن..

تسرب من الدراسة.. وأحلام تذبح في الشوارع

تحقيق/
فتحي الطعامي

> تتزايد نسب الأطفال العاملين في الشوارع في ظل مخاوف وتحذيرات جهات عدة من الآثار السلبية لهذه الظاهرة التي أصبحت تهدد السلم الاجتماعي .. إلا أن هذه الظاهرة برزت بشكل ملحوظ في الآونة الأخيرة بسبب الأوضاع الاقتصادية التي تمر بها البلاد نتيجة الأزمات السياسية الأمر الذي أثر في الوضع المادي والاقتصادي لكثير من الأسر .. ولعل من أبرز أخطار هذه الظاهرة هو الأعداد الكبيرة لتسرب هؤلاء للأطفال العاملين في الشوارع من الدراسة ناهيك عن الاخطار الاجتماعية والاخلاقية .. التي يتعرض لها الاطفال العاملون .. وكذا قيام كثير منهم بالعمل في مهن هي أكبر من طاقتهم وأجسامهم

تحذيرات دولية

ثمة ما يدعو إلى القلق والخوف على مستقبل الأطفال في اليمن .. فهم أصبحوا مهددين بالموت .. هذا ما أكده تقرير منظمة الأمم المتحدة (اليونيسف) حول وضع الأطفال في اليمن والذي أظهر جزءا من معاناة هذه الشريحة..

ويوضح التقرير الذي صدر قبل أيام أن ما يقارب من نصف مليون طفل يمني باتوا مهددين بالموت نتيجة لسوء التغذية ..

ويرجع التقرير أسباب هذه الوضع إلى العديد من القضايا أبرزها النزاعات السياسية والفقر وانعدام الخدمات وارتفاع أسعار الغذاء والوقود .. واعتبر التقرير أن التقاعس في التصدي لهذا الوضع شيء لا يمكن السكوت عنه.. ولم ينس التقرير أن يصنف اليمن ثاني دولة في العالم بعد أفغانستان من حيث ارتفاع سوء التغذية للأطفال .... الخ

لعل ظاهرة عمالة الأطفال تأتي الأبرز والأكثر حضورا إذ أصبحت تتزايد بشكل سريع بتزايد رقعة الفقر في اليمن وأصبحت تشكل هاجسا لدى الكثير من المهتمين والمعنيين.. فالفقر والجوع والعوز والثقافة السلبية وعدم وجود حاضن تربوي لهؤلاء الأطفال أسهمت بشكل مباشر في تفاقم هذه الظاهرة وعملت على تزايدها ودفعت بهذه الشريحة البريئة للانخراط في العمل .. في الجولات والأسواق .. وفي كل المهن والأعمال تجد أطفالاً في عمر الزهور يقومون بالعمل إعانة لأسرهم وذويهم ممن جار عليهم الزمن وأجبرتهم الظروف على الدفع بفلذات أكبادهم إلى هذه الأعمال ..

وتحذيرات محلية

ولأن هذه هي الأبرز فقد أخذت اهتمام برلمان الأطفال في اليمن والذي أكد في تقرير حديث صادر عنه أن عدد الأطفال العاملين في اليمن بلغ حوالي ٦٠٠ ألف طفل يمارسون أعمالا شاقة وخطرة لا تتناسب مع أعمارهم كحمل الأحجار والعمل في ورش الحدادة والنجارة وسمكرة السيارات ومحطات الباصات إلى جانب العمل كباعة متجولين في الشوارع والجولات .

وحذر التقرير من زيادة ظاهرة عمالة الأطفال التي تجعلهم عرضة للمخاطر والممارسات السلبية كالإدمان على التدخين وتعاطي القات واستغلالهم من قبل العصابات في القيام بأعمال غير مشروعة كالترويج للخمر والمخدرات والأعمال المخلة بالآداب.

وأوضح التقرير أن بعض الأطفال يعملون لمدد تصل الى١٧ساعة في اليوم ويتقاضون أجورا زهيدة ،ودعا الحكومة إلى تكثيف جهودها والتقليل من عمالة الأطفال، معتبرا أن الجهود المبذولة لا تزال دون المستوى المطلوب. ويحظر القانون عمل الأطفال في مهن خطيرة حددها ب٧٢مهنة أو العمل لمدد زمنية تزيد عن ست ساعات في اليوم ،كما ينص على معاقبة أصحاب العمل المخالفين بالحبس لمدد تصل إلى عشر سنوات.

كما تشير بعض التقارير الحكومية ومنها الصادرة عن وزارة التجارة والصناعة (.. أن أعداد الأطفال العاملين في الشوارع تتراوح بين (١٣,٠٠٠= ١٥,٠٠٠) طفل، معظمهم يعملون ببيع الصحف، والماء، والسلع المنزلية، وأشرطة التسجيل، والفواكه، والخضروات؛ فضلاً عن تنظيف السيارات، منوهة إلى أن ٤١٪ من هؤلاء الأطفال يبيعون منتجات زراعية وسمكية في بسطات ويتعرضون لمطاردة الجهات الحكومية.

واعتبرت الدراسة الفقر أنه السبب الرئيسي لظاهرة عمالة الأطفال، وهو الذي يقف وراء حرمان الأسر أبناءها من دخول المدارس أو مواصلة التعليم، لعدم قدرة تلك الأسر على تحمل تكاليف الدراسة.

كما أشارت الدراسة إلى أن ٤٠٪ من الأطفال العاملين في اليمن يعملون بمعدل (١١-١٧) ساعة يومياً، فيما تعمل نسبة ٤٢٪ منهم بمعدل (٦-١٠) ساعات يومياً، موضحة أن قانون العمل اليمني لا يسمح للأطفال بالعمل، إلا في حدود مهن محددة سمّاها، وأن المادة (٤٥) من قانون العمل العام ١٩٩٥م، أجازت عمل الأطفال ضمن ما هو محدود من مهن، بما لا يزيد عن سبع ساعات في اليوم، أو ٤٢ ساعة في الأسبوع، ويمنع تشغيل الطفل لأكثر من أربع ساعات متواصلة دون انقطاع .

في كل المهن وبكل الاعمال

في الورش وفي أسواق القات ومحلات التنجيد تجد أطفالاً يمارسون مهنا هي أكبر من أعمارهم وأجسادهم .. فهناك أطفال يبيعون المناديل و دبات الماء الفارغة التي يجمعونها من الشوارع والحارات والتي ربما يقطعون بسببها مسافات كبيرة أملا في الحصول على ملء كيس دقيق فارغ ٢٠٠ دبة فارغة ربما يباع بريالات معدودة أسواق الأسماك والدواجن ومحلات التنجيد ومسح السيارات وحتى السمكرة يتواجد فيها هؤلاء الأطفال أعمال أخرى هي أكبر من أعمارهم وأحجامهم .. تحت حرارة شمس الظهيرة تمتلئ وجوههم بالأمل والخوف .. أملاً في بيع ما لديهم من بضائع وخوفاً على مستقبل مجهول ..

أحلام طفولية تذبح في الشوارع

مخاطر كثيرة يتعرض لها الأطفال أثناء عملهم اليومي ولكن قسوة الحياة ومرارة العيش هي من دفع أغلبهم للامتهان في الشوارع متجاوزين كل الصعب التي يعانون منها أملاً منهم في الحصول على ما يسد جوع سرهم وذويهم كما هو الحال مع هذا الطفل الذين وجدناه في أحد شوارع مدينة الحديدة ..

فالطفل أحمد الذي لم يتجاوز التاسعة من عمره يقول أنه يعول أسرة مكونة من تسعة أفراد أمه وجدته و ٧ من إخوانه .. يمارس مهنة بيع المناديل بعد أن توفي والده قبل ٤ سنوات ولم يترك لهم شيئاً غير بيت من الصفيح في حي السلخانة (حي المهمشين) وأسرة لا تجد من يعولها.

يتكبد أحمد عناء العمل منذ الصباح الباكر في إحدى الجولات في مدينة الحديدة وحتى الساعة التاسعة مساء يبذل خلالها كل جهده وما يعرفه من مصطلحات وعبارات ربما تقنع أصحاب السيارات في شراء كراتين المناديل منه ،وكخبير في التسويق يطلق و بعبارات مرحة وإصرار عجيب يصيح أحمد في الجولة وعلى نوافذ أصحاب السيارات والذين ربما لا يلتفتون إليه .. وربما يقوم البعض الآخر بإغلاق نوافذه (مناديل مناديل .. مسح عرقك .. ريح عن نفسك .. مناديل يا عم .. إنتاج ياباني .. بمائة ريال فقط .. يمني .. ما تشتي طيب أمسح لك الزجاج ..))

وبالرغم من زحمة السيارات وخطورة الدراجات النارية الآتية أو من السيارات المسرعة التي قد تتجاوز إشارات المرور في لحظة تهور سائق .. وربما لا قدر الله قد تودي بحياة هذا الطفل ومع ذلك أن أحمد يكافح بإصرار على بيع ما لديه من مناديل أملاً منه في الحصول على ربح ربما لا يتجاوز ٢٠ ريالاً في الكرتون الواحد.

يبذل أحمد جهداً غير عادي من أجل الحصول على ربح لا يتعدى ٦٠٠ ريال يقوم بتقسيمها على النحو الآتي: مائتين وخمسين ريالاً لأمه وإخوانه مائتين وله الباقي ..

بحزن شديد يقول أحمد أنه ترك الدراسة في الصف الثاني الأساسي لكنه يؤكد أنه سيعود لمواصلة الدراسة مؤكداً أنه يشعر بالحزن عندما يرى أصدقاءه يحملون شنطهم متجهين إلى المدارس ..

تركنا أحمد والحزن يملأنا على مستقبل طفولة أحمد البريئة التي ربما لو أتاح له الزمان أن يدرس لربما أبدع وساهم في بناء الوطن ..

أحمد هو واحد من آلاف الأطفال الذين يعانون من قساوة العيش فهم يتركون حياة الطفولة ليتجهوا إلى ما يمكن أن نسميه اللعب مع الكبار على لقمة العيش.

فقد كشفت دراسة علمية حديثة أن هناك ما بين ١٣ ألفاً و١٥ ألف طفل يعملون في شوارع المدن الرئيسية في عموم محافظات الجمهورية..

الدراسة التي أعدها أحد المراكز المعنية بحقوق الاطفال ، أظهرت أن الفتيان يشكلون نسبة ٨٠ بالمائة من الأطفال العاملين في الشوارع والنسبة المتبقية من الفتيات.

وبحسب تلك الدراسة احتلت مدينة ذمار المرتبة الأولى في عدد الأطفال العاملين بنسبة ٢١ بالمائة تليها مدينة صنعاء بنسبة ١٩ بالمائة ثم الحديدة بنسبة ١٨ بالمائة فيما توزعت النسبة المتبقية على المناطق الحضرية الأخرى في الجمهورية .

وبينت الدراسة أنّ ٤٠ بالمائة من الأطفال العاملين في شوارع المدن يقومون ببيع الصحف والماء ومواد غذائية وبعض الوجبات السريعة بواسطة عربات اليد والباقي يعملون في مساحات مفتوحة في الهواء الطلق أو في أكشاك في أماكن محددة من الشوارع .

وتشير الإحصائيات إلى أن ٥٠ بالمائة على الأقل من أولئك الأطفال يعملون إلى جانب عائلاتهم والباقي يعمل إما إلى جانب أقرباء أو بشكل مستقل.

وتوضح بعض الإحصائيات إلى أنّ أكثر من ١٥ ألف طفل يمني تحت سن الثانية عشرة يعانون ظروفاً معيشية صعبة دفعتهم إلى ترك مقاعد الدراسة والتوجه إلى الشوارع بحثا عن لقمة العيش، في أجواء مأساوية قد تودي بحياتهم في بعض الأحيان.

الحديدة : صاحبة النصيب الأوفر

كونها من المحافظات الأكثر فقراً فقد كانت محافظة الحديدة في صدارة المحافظات التي تتزايد فيها ظاهرة عمالة الأطفال وذلك للارتباط الوثيق بين عمالة الأطفال والفقر .. فأحياء الفقراء المنتشرة على أطراف مدينة الحديدة كحارات (السلخانة و الشهداء والزهور و صدام و الربصة و ... الخ) كلها حارات يقطنها ما يمكن أن نطلق عليهم بالمهمشين الذين يسكنون بيوت القش والصفيح .. فهم لا يبالون بحرارة شمس الصيف أو ببرد الشتاء .. كثير من هذه الأسر دفعت بأبنائها للتسول أو للاغتراب أو للعمل بسبب وضعها المادي وضيق العيش ..

إذ لا تجد جولة من جولات مدينة الحديدة أو سوقاً من أسواقها إلا وتجد طفلاً هنا يحمل في يديه قارورة ماء باردة أو كيس ماء أو كرتون مناديل .. وربما تسلق على السيارة لمسح زجاجها .. بل إن بعض هؤلاء الأطفال يعملون في مهن هي أكبر من عقولهم وأجسامهم كمهنة الصيد أو التنجيد أو السمكرة .. وكثير من هؤلاء الأطفال فضلوا مهنة جمع علب الماء الفارغة التي يجمعونها من شوارع عدة .. جل ما يحلمون به وجبة أو وجبتين في اليوم ولا يهم بعدها ما نوع الوجبة ..

فالطفل عيد ذو الثمان سنوات من حي السخانة بمدينة الحديدة ليس له من أسمه نصيب فهو لم يطعم لذة العيد فأيامه كلها تعب وعمل لم يشعر بالطفولة لم يمارس يوماً ألعاب الأطفال كل ما يشغل فكره وعقله هو كيف يملأ كيساً بدبات الماء الفارغة منذ الصباح الباكر (السابعة صباح .. يقطع حارة غليل وشارع صنعاء مرورا بالشهداء تراقب عيناه أرصفة الشوارع أملاً أن يجد دبة ماء فارغة هنا أو هناك ..

مائتان وخمسون ريالاً هي قيمة الكيس المملوء .. يبذل بسببها عيد كل جهده .. يجمع يوميا كيسين من الدبات الفارغة ..

يقول أنه يجمع في الصباح كيس من الحارات أما في العصر فيقول إنه يتجه إلى ساحة التغيير بالحديدة (لأنه ثوري كما يقول) ليجمع كيسه الآخر من خيم الثوار ..

انا ثائر .. أنا مع الثورة هيا فين الدبات حقكم .. فيرد عليه البعض إذا لم نعطك الدبات الفارغة باتبطل ثورية .. يا عم أنا ثوري وبس وفين الدبة حقك .. يأخذها وينصرف من الساحة والفرح يملأ عينيه إن وفق في جمع دبات الماء الفارغة وامتلأ الكيس.

تسرب من الدراسة وتعلم في الشارع

وكون التعليم يعد مهما في صقل شخصية الطفل وتنمية مواهبه وقدراته وإعداده تربوياً وتعليميا بما يؤهله للإسهام في بناء المجتمع وبما يحافظ على السلم والأمن الاجتماعي فقد بلغت نسبة الأطفال الذين يعملون ويدرسون ١٤ ٪ بينما الباقي إما تسربوا عن الدراسة أو لم يلتحقوا بها أصلاً الأمر الذي يثير الخوف على مستقبل هؤلاء الأطفال .. .

وتظل هذه الظاهرة حاضرة وشاهدة على معاناة أطفال في عمر الزهور جار عليهم الزمان وأجبرهم الفقر والعوز على مفارقة طفولتهم ومزاحمة الكبار على لقمة العيش الأمر الذي يحتم على الجميع الإسهام بما يخفف من هذه الظاهرة والعمل للحد منها.